10 me Année No. 460 — Lundi - 27 - 4 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ • عن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٦٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ ربيع ثانى سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

٤٧٣ الرجـــل المنتظر ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٤٧٥ فى ساحة العـدل ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٤٨٠ « خسرو » و « شيرين » فى التصوير الاســلامى ... } الدكتور محمد مصطفى .. ...
٤٨٣ « مرسلات » : الضمير . . : الأستاذ محـمد محمد المدنى ...
٤٨٤ معارج الأحداث . . ... : الأستاذ سـعيد الأفغانى ...
٤٨٦ سيلان ... ... : الأستاذ أبو الفتـوح عطيفة
٤٨٧ المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم ... ... } المستشرق « إدورد وليم لين » بقـلم الأستاذ عدلى طاهر نور
٤٩٠ تحية فلسطين ... [قصيدة] : الأستاذ بشارة الخوري ...
٤٩٠ إلى ... ... « : « الشاعر المجهـول » ...
٤٩٠ ما كان إلا دنيا محببة « : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان
٤٩١ «الرسالة» هى الصديق . . : الدكتور زكى مبارك ... ...
٤٩١ لمن (رسالة الحبيب؟) . . ... : الأستاذ حسين محمد نصيف . .
٤٩١ تذكير ... . : الأستاذ سهيـل إدريس ...
٤٩٢ « الرسالة الصديق » ... : الأديب على محمود الشيخ ...
٤٩٢ إلى الدكتور حسني ولاية ... : الأديب محـمد محمد مالك ...
٤٩٢ إلى الأستاذ العقاد .. ... : الأديب كمال الدين نشأت ...

الرجل المنتظَر ...

بهذه الرجفة العظمى تبدد النظام العالمى كله ؛ فكأنما اجتمع اللاعبون بأقدار الأفراد ومصاير الأمم وقالوا لهتلر أجرإ العابثين : (بَوِّظ)[1] !!

وها هم أولاء يتحكمون فى قطع اللعب ، فيجمعون ثم يفرقون ، ويبددون ثم ينسقون ، وكل ما ورث الناس أو كسبوا من أديان ودساتير وقوانين وأنظمة وسنن قد أصابه الإلغاء أو التعليق . والواقع أن العالم العربى بأجمعه ليس منه فى هذه اللعبة العالمية لاعب ؛ إنما هو تلك القطع الجامدة التى تُقسّم وتُقدَّم وتُصك ثم تذهب وتجىء بين اللاعبين دواليك حاملة على وجوهها المُلس قِيَمها الكسبية المختلفة من (الدش) إلى (البياظة) . فإذا طلبنا أن يكون لنا فى الدَّست حساب وليس فينا حاسب ، أو يعود علينا من ورائه اكتساب وليس منا كاسب ، كان ذلك من خداع النفس بالمحال وتعليلها بالباطل . والمتوقع الذى لا حيلة فيه أن نظل كما نحن لُعبة تلعب أو نُهبة تُنهب حتى يبعث الله فينا الرجل الذى ننتظر

ولست أعنى بالرجل الذى تنتظره الأمة العربية : (المهدىّ)

---

(١) التبويظ كلمة مصرية معناها فى اصطلاح لاعبى (الدومينو) أن تقلب القطع على وجوهها قبل اللعب أو بين الدست والدست ، ثم تجال ويضرب بعضها فى بعض كى لا يكون بينها نظام ولا توافق

أو (الإمام) أو (المسيح) ، فإن ظهور أولئك أحدهم أو كلهم شرط من أشراط الساعة ؛ فانتظار الناس إياهم كانتظار الطامع المعطول راحة الفوت ، أو المريض المشفِى سكينة الموت ؛ إنما أعنى الرجل الذى ينتظره الناس انتظارهم طلعة الشمس ، وتنتظره الأرض انتظارها رجعة الربيع ! هو كالشمس لأنه يرسل النور والحرارة ؛ وهو كالربيع لأنه يبعث الحياة والنضارة . وظهوره كطلوع الشمس ورجوع الربيع سنة من سنن الله فى الكون ، يجرى بها حكمه كلما شاء للعقول الحائرة أن تهتدى ، وللقلوب الشتيتة أن تتحد ، وللنفوس العليلة أن تصح

كان هذا الرجل فيما خلا من الدهر يسمى رسولاً ؛ فلما خُتمت الرسالة وانقطع الوحى ، كان يظهر بعد فترة فترة فى صورة ملك أو فاتح أو حاكم أو عالم أو مفكر ، فيبين ما التبس من معانى الحق ، ويجدد ما انطمس من معالم الطريق . وكان نجاحه أو فشله فى التجديد والإصلاح أثراً من آثار قوته أو ضعفه ؛ فهو بين أصحاب السلطان يكون أسرع نجاحاً وأوسع إصلاحاً منه بين أصحاب الفكر . وقلّما يأبه الناس لدعاة التجديد بالكلام ما لم ينتشر صداه فى الأرض ويتسع مداه فى الزمن ؛ لأن أصحاب الكلام إذا ملكوا الرأى فلا يملكون التنفيذ ، وإذا استطاعوا التشريع فلا يستطيعون الحكم . وقطرة القلم قد يفطن لها الفؤاد اليقظ ، ولكن وخزة السيف يثور بها الجسد الغليظ . وما كانت الوثبات الاجتماعية التى خلقت ناساً غير ناس ، وأبدلت نظاماً من نظام ، وفصلت تاريخاً من تاريخ ، إلا نتيجةً لدفع المصلحين المسلطين الذين وضعوا الكتاب فى يد والسيف فى يد ، ثم كتبوا دستور الإصلاح بالمداد والدم

ولهذا الرجل الذى تنتظره الأمة العربية آيات تمهد له وتدل عليه : فمن الآيات المهيئة لظهوره انحلال الأخلاق فلا تتماسك فى قول ولا فعل ، وتقاطع القلوب فلا تتواصل فى وطن ولا دين ، واستئثار النفوس فلا تتعفف فى صداقة ولا نسب ، وجموح الشهوات فلا تنقدع بلين ولا شدة ، واستبهام المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس ، وانقطاع الأمة عن رَكْب الحياة فلا تتحرك قِبلة ولا دَبْرة

ومن آياته المنبئة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه ، ولأمته قبل أسرته ، ولإنسانيته بعد وطنيته . وبهذه الصفة الأخيرة يختلف المصلح القوى عن الرسول . ومصداق تلك الآيات أن تموت (أنا) فى لسانه وتحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ؛ فهو يحس ألمه لأنه مجتمَع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجتلى عقله ، ويملك قياده لأنه مَظهر إرادته . وهو فى سمو نفسه ونزاهة هواه قد ارتفع عن أوزار الناس وأقذار الأرض ؛ فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابى لأن فضله أوسع من العصبية ، ولا يقول قولاً أو يعمل عملاً إلا إذا وافق الدين الذى يعتقده ، والمبدأ الذى يؤيده ، والشعب الذى يقوده

ثم هو فى ألمعية ذهنه ورصانة لبه وصلابة عوده وبعد همته يعظم على الأحداث ، ويعلو على الحوائل ، فلا ينضج رأياً إلا أمضاه ، ولا يرى غرضاً إلا أصابه ، ولا يروم أمداً إلا أدركه

هذا الرجل الملهم الموهوب هو الذى ترقب ظهوره كل فرقة ، وترصد نجمه كل أمة . ولقد ظهر أمثاله فى بعض الأمم وهى على شفا الهاوية فأعادوها إلى الحياة وردوها إلى الجادّة . ولا تزال الأمة العربية تحدّق النظر الحيران فى الأفق الغائم ترجو أن تنشق الحجب عن نوره . فهل آن يا أرحم الراحمين أوانُ ظهوره ؟

إن القطعان المهملة تدخل فى عهدة الذئب ؛ وإن القوى المتفرقة تُجمع فى حساب العدو ؛ وإن اللآلئ المبددة إذا لم يضمها سلك لا ينتظم منها عِقد ؛ وإن الأمة التى لا تملك يوم المجد والفخار إلا أن تقول : كنتُ وكنتُ ، لا تزيد قدرها على قدر الرماد البارد الذى يقول : كنت فيما مضى جمرةً متقدة !

* * *

رباه لقد امتد بنا التيه فى مجاهل الأرض إلى قرون ، وفسد فى نفوسنا الإيمان بالحياة حتى تحول إلى ظنون . فمتى نخرج من التيه يا رباه خروج موسى ، ونتبوأ من صدر الحياة العاملة مكان محمد ؟ اللهم إنا نسألك الراعى الذى يطرد الذئب ، والنظام الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العَلم ، والأستاذ الذى يعلمنا أن نصنع الإبرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ، ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة . وكل أولئك يا رباه يجمعهم رجل واحد هو أشبه الناس بالمهدى المنتظَر والإمام المرتقَب والمسيح الموعود !

احمد حسن الزيات

فى ساحة العـــدل

للدكتور زكى مبارك

قبل أن أمضى فى الكلام عما وقع فى « ساحة العدل » أذكر أن فرصة جميلة أتاحت لى مقابلة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ « محمد مصطفى المراغى » فتلطف — حفظه الله — وقدَّم إلىَّ ملاحظات سديدة على بعض ما مرَّ من الآراء فى هذه الأحاديث ؛ وكان من كلامه ما نصُّه بالحرف :

« أنت متجه إلى إلقاء تبعة المعصية على حواء ، وفاتك أن تذكر أن عدم تماسك آدم هو السبب فى تمرُّد حواء »

والواقع أنى طُفت بهذا المعنى فى « حديث السِّدرة » . ولكن عبارة الأستاذ الأكبر دقيقة جداً ، وهى من الإيجاز النفيس ، ولعل فيها رداً على من غضبوا جاهلين يوم دعوناهم إلى الحزم فى معاملة النساء

سريرة آدم

ضاق صدر آدم بما وقع من قرب الشجرة المحرَّمة ، وفاض كربُه حين تذكَّر أن حديث الله مع الملائكة كان مقصوراً عليه فقد قال : « إني جاعلٌ فى الأرض خليفة » ولم يذكر حواء ، وكذلك سكتت الملائكة عن حواء ، فكيف يفوته أن يلتفت إلى هذا التفرد بالتكليف وهو غاية فى التشريف ؟

ثم تذكَّر أن الله عرَض الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها ؛ وتشجَّع آدم فحملها وهو لا يدرى أن شجاعته لم تكن إلا ضرباً من الظلم والجهل

لو كان آدم يعلم الغيب لأعلن عجزه عن حمل الأمانة بعد نكوص السموات والأرض والجبال ، ولكن شبابه فتنه وأغواه فتوهم أنه يقدر على حمل جميع الأثقال

سيقف آدم فى ساحة العدل وهو نادم خَزْيان ... ألم يضيِّع الثقة بمواهبه السامية ؟ ألم ينهزم أمام امرأةٍ أعظم أسلحتها البكاء ؟ فى ساحة العدل ستحتشد الخلائق من الملائكة والجن والطير والحيوان ، وذلك أول معرض يعرفه التاريخ . ولن يكون آدم متفرِّجاً فى هذا المعرض ؛ ولكنه مع الأسف الوجيع سيكون مَسْلاة المتفرجين . والويل كل الويل لمن يُصبح فُرجةً لأهل الفضول ، ولو كانوا من الأشراف ، إن جاز لأهل الشرف أن يشهدوا موقفاً يتأذَّى به رجلٌ شريف

سيقف آدم متهماً ، آدم الذى اصطفاه الله ، ولم يسمع فيه أقوال الملائكة المقربين ؛ فبأى وجهٍ يقف فى قفص الاتهام ، وأمام القاضى الذى منَّ عليه بنعمة الوجود ؟

جهنم أروح من الوقوف فى ساحة العدل بالفردوس

كان آدم يتمثل من لحة إلى لحة شماتة الشامتين ؛ ثمَّ يخفّ كربه كثيراً أو قليلاً حين يتذكر أن الذين اعترضوا على خلقه هم الملائكة ، والشماتة لا تجوز من أصحاب الأرواح النورانية

ولكن الجنة فيها سكان لا يمتّون إلى النور بعِرق ، ومن حقهم أن يشمتوا فى المخلوق الذى يفوتهم بمراحل أبعد مما بين الأرض والسماء

أتستطيع المعصية وهى حقيرة وخسيسة ودميمة أن تمنح الأنذال فرصة التعالى على الأبطال ؟

لو كان آدم يعرف أن المعصية ستجمل من حق الحشرات أن تتسابق فى الزحف على البطون لتشهد موقفه فى ساحة العدل . . . لو كان آدم يعرف أن إبليس المطرود سيتبجَّح بأنه أغواه بلا عناء ... لو كان آدم يعرف أن الله يحبه ، وأن استهانة المحبوب بأوامر الحبيب من علائم الخذلان ... لو كان آدم يعرف أن الموت فى الطاعة أشرف من الحياة فى العصيان . . . لو كان آدم يعرف ، لو كان آدم يعرف ! !

طافت هــذه الخواطر بآدم وهو فى الطريق إلى ساحة العدل فكاد يُصعق من هول الموقف . وكاد يتمنى لو تحول إلى حيوان أعجم لا يفقه كنه التكاليف . وهل يستطيع مع المعصية أن يقول إنه أشرف من أى حيوان ؟

لقد عصى ربَّه فغوى ، فما استعلاؤه وقد هوت به المعصية إلى الحضيض ؟

المعصية إثمٌ موبق ، ولو جازت على الجبل لحوّلته إلى هباء . عصى آدم ربه فغوى ، فليستعد آدم لحمل جريرة العصيان . وكيف يعصى الله من يعرف أنه خالق الأنوار والظلمات ؟ كيف يعصى الله من يعرف أنه واهب القدرة على العصيان ؟ وهل تكون الشهوة الأثيمة أعذب مذاقاً من العلقم الذى يجترعه من يصد نفسه عن الآثام ؟ إن حرمان النفس من أهوائها فى سبيل الطاعة له طعم شهىٌّ جداً ، فكيف غابت هذه الحقيقة عن آدم ؟ وكيف رضى أن يضام بسبب هواه فى مسايرة حواء ؟ لو كان يملك محو هذه الخطيئة بأى ثمن لكانت روحه أول مبذول ولكنه لا يملك محو ما وقع ، وسيؤدى ثمناً أعظم من الروح ، هو سمعته بين سكان الفردوس ، فسيشهدون جميعاً أنه مَدِين ، وأن عقله لم يعصمه من الانحراف عن جادّة الرشاد . وسيرى بعينيه وجوهاً لا تعيش إلا من اغتياب الأحرار ، وهو الذى قدّم الزاد بنفسه لتلك الوجوه الشوهاء

جَلجَلَتْ هذه المعانى فى صدر آدم فجلس يستريح تحت إحدى الشجيرات وهو يتمنى لو ضلّ الطريق إلى ساحة العدل ، وخطرت له فكرة الهرب ولكن إلى أين ؟ وهل من عدالة الله مهرَب ؟

ثم تشجع فجأة لخاطر جميل طاف بنهاه ، فما ذلك الخاطر الجميل؟ تذكر آدم أن الله يعاقب مرة واحدة ثم يصفح لأنه عظيم ، أما الذين يعاقبون على الهفوة الواحدة مرات كثيرة فهم صغار الخلائق . وما على آدم بأس من عقوبة تمر وتمضى ثم يواجه أعماله من جديد وقد تطهّر بالعقاب

وقاضى اليوم هو الله ، والعدل مضمون مضمون ، ولا خوف من التزيد والإسراف ، فليمض آدم إلى المحكمة وهو ثابت القدم رابط الجأش ، فما فى كل وقت تكون الحاكم إلى ذلك الجبار الرءوف ... وفى أثناء الطريق ثارت نفسه فدمدم :

« إن الله لا يحكم على آثم إلا بعد أن يتيح له الألوف من فرص المتاب . فكيف يعاقبنى لأول هفوة تبدُر منى ؟ »

فهتف هاتف : تأدب يا آدم ، واذكر نعمة الله عليك ، فما عاجَلك بالعقوبة إن كان سيعاقبك إلا ليؤكد كرامتك الذاتية بين الخلائق

— التعجيل بالعقوبة مزية ؟

— مزية عظيمة ، لو كنت تعرف

— أحب أن أعرف

— العقوبة حكمٌ لك لا عليك

— لم أفهم شيئاً ، أيها الهاتف

— ستفهم بعد لُحَيظات ، وستندم على أن لم تأكل شجرة التين بفروعها وجذورها

— أرجعُ فآكلُها أكلاً لمًّا ؟

— احترس ثم احترس ، فأنت نبىٌّ ، والأنبياء يراعون ظواهر الشرائع قبل أن يراعوا بواطن الحقائق ، ترفقاً بمن يغيب عنهم إدراك اللباب من أسرار الوجود

— إذن كان من حق ...

— لا حق لك فى شىء ، فامض خاشعاً إلى ساحة العدل

— بدون خوف ؟

— بأعنف صورة من صور الخوف ، لأن الله يبغض الآمنين أشد البغض

— وكيف ؟ كيف أيها الهاتف ؟

— لأن الشعور بالأمان بداية الخذلان ، والله لا يرضى لك أن تسير إلى الانحلال

سريرة حواء

رأت حواء بجزع وارتياع أنها لم تُدْعَ لحضور « ساحة العدل » إلا مع الشهود ، فما معنى ذلك ؟ معناه أنها لم ترتق إلى منزلة العقاب ، ومعناه أن منزلتها فى هذه القضية منزلة ثانوية ، ومعناه أنها لم تجترح غير الإغواء ، وهو ذنبٌ مقسَّم على ثلاثة شخوص : الحية وإبليس وحواء ... ثم صرختْ :

— أنا الجانية ، أنا الجانية ، وآدم لم يأكل ثمرة التين إلا من يدى

فهتف هاتف : لن يُنصَب للمرأة ميزان ، وهى التى تفرّق

بين الابن وأبيه والأخ وأخيه ، ولن يغفر الله للمرأة أنها لا تدخل بيتاً إلا شطرته إلى شيع وأحزاب ، وقد كانت وستكون أول مصدر للنزاع والشقاق

— لعلك تريد حواء الأولى ، أيها الهاتف ؟

— حواء الأولى لم تعرف التبرج

— وأنا متبرجة ... أنا ؟ ؟

— نعم ، فقد شهدتك تنتظمين من حبوب البِسِلَّة عِقداً تزينين به جيدك الأغيد ، ورأيتك تعصرين الزهر بين كفيك ثم تمسحين بعصيره أجزاء من جسمك البديع لتظهر عليه خطوط وردية أو عسجدية

— وما العيبُ في ذلك ؟

— العيب أنك لا ترضين بما قسم لك الله من الحظوظ

— وماذا أعطاني الله ؟ ماذا أعطاني ؟

— كل امرأة تقول هذا القول ، وما رضيت امرأةٌ عن نصيبها أبداً

— وما نصيبي ؟ وهل كان لي من النعيم نصيب ؟

— لك آدم يا حواء

— آدم الذي يريد أن يتمتع وحده بجريرة العصيان ؟

— تريدين أن تقاسميه أعباء هذه الجريرة ؟

— هي جريرتي وحدي ، وأنا صاحبة الحق الأول في الوقوف جانية « بساحة العدل »

— وترين موقف الجناية من مواقف التشريف ؟

— هو فرصة لأن يصبح الجاني على ألسنة جميع الخلائق

— إن كان هذا ما تريدين فاطمئني ، فلن تقع جريمة في شرق أو غرب إلا قيل « فتش عن المرأة » . ولن يتنسك عابد ، أو يترهب زاهد ، إلا طلباً للسلامة من كيد المرأة . ولن تخلو شريعة من التحذير المخيف ، التحذير من حبائل النساء . ولن يرتفع مرتفع أو ينخفض منخفض إلا وفي خياله أن امرأة نصحته فارتفع ، أو خدعته فانخفض . ولن يبرع أديبٌ أو فنان إلا وهو مدين لمخلوقة سفيهة أو حليمة من بناتك يا حواء . ولن ينبغ كاتب أو شاعر إلا بوحي يُوحى إليه من إنسانة عليلة الطرف أو صحيحة الفؤاد . ولن يخلو كتابٌ من اسم المرأة ، ولو كان شريعة تتلقاها الأرض عن السماء

— أرحتني ، أرحتني ، أيها الهاتف

— إنما نريح مصدر التعب لنستريح !

جلسة علنية

صدر القرار بأن يحاكم آدم في جلسة علنية يشهدها جميع سكان الفردوس ، فكان على الملائكة أن يهيئوا ساحة العدل تهيئة تسمح بأن يشهدها أولئك الخلائق بلا عناء

وكيف تحضر جميع الخلائق ؟

في الطيور طوائف من الحواضن ، والطيور الحواضن لا تترك البيض المحضون ولو تعرضت للموت من الظمأ والجوع ، فمن المستحيل أن تترك أعشاشها لتشهد محاكمة آدم صاحب حواء

وفي الأنعام بهائم تأكل الطعام وهي مطعونة بسهم الموت ، فلا أمل في أن تتحرك لشهود القضاء في ساحة العدل

وهنالك الحمير ، وهي لا تعلن عن سرورها بغير النهيق ، فمن الخير ألا تحضر مجلس القضاء وصوتها أنكر الأصوات .

وفي الوجود خلائق لها أبصار ، وليس لها بصائر ، فمن الحزم أن تُراح من شهود جلسة لا يستفيد منها غير أرباب القلوب

ثم اتفقت آراء الملائكة على أن المراد بعلنية الجلسة إعطاء الفرصة لمن يستطيع الحضور ، وليس المراد أن تحضر الخلائق جماء ، وهل يتيسر لأسماك الكوثر أن تشهد محاكمة آدم وهي تُعرَّض للموت إن طال ثواؤها بالعراء ؟

والحق أن الملائكة لم يشهدوا في ماضيهم القديم أصعب من ذلك الموقف ، فقد كان عليهم أن يراعوا في تهيئة ساحة العدل طبائع الطير والحيوان والحشرات ، فمن الطير أنواع تستريح إلى الأرض ، أمثال الحجل والكروان والهداهد والطيور المائية ، ومن الطير أنواع لا تستريح بغير الوقوف فوق أعواد ، فكيف تُمَدُّ الساحة لأولئك وهؤلاء ؟ إن ذلك لا يتم بغير متاعب ، والجلسة مستعجلة ، ولا يمكن طلب التأجيل

وعرضتْ الملائكة مشكلتان فى غاية من الخطورة : المشكلة الأولى مشكلة النزاع الذى ثار بين الأسود والقرود بعد فضيحة آدم وحواء ، وهو نزاع قد يثور من جديد إن قضى الله على آدم بما يشرح صدور القرود

أما المشكلة الثانية فهى الخوف على الطيور المغردة من عدوان الطيور الجوارح ، فالصقر يشتهى الطير المغرد شهوة عارمة ، ويكاد يتوهم أن لحم الطير المغرد أطيب من خدود الملاح ، وتلك الطيور لن تسكت عن التغريد ، لأنها مفطورة على حب الغناء ، ولو فى حضور الشواهين ، والجمال قد يَجنى على الجميل

قال أحد الملائكة : ولكن نحن فى الجنة ولا خوف من بطش الأقوياء بالضعفاء

فقال له صاحبه وهو يحاوره : كنا فى الجنة !

— كنا ؟

— نعم ، كنا ، وما فات مات

— أوضِحْ ، يا رفيق ، أوضحْ

— كانت الجنة جنة

— فصارت ؟

— فصارت كما ترى ، ألا تعرف أن آدم عصى ربه فغوى ؟

— وما خَطَرُ ذلك ؟

— هو خطرٌ فظيع فظيع ، وأنا أخشى أن تكون معصيته قدوة سيئة لجميع سكان الفردوس ، فيقول قائلهم : إن ما جاز صدوره عنْ الكبار يجب صدوره عن الصغار

— وآدم كبير ؟

— هو كبير الكُبَراء ، وستعرف صدق ما أقول بعد حين

— وإذن تكون معصيته شرًّا مستطيراً ، وأغلب الظن أن الله سيطرده من الجنة بلا إمهال

— برغم منزلته العالية ؟

— خفضته المعصية ، فلينزل إلى الحضيض ، إلى الأرض التى لا يعرف فيها السعادة غير الديدان ، فهى وحدها التى تُرْزَق فى الأرض بغير حساب

— والنتيجة ؟

— والنتيجة أن جلسة اليوم تحتاج إلى حزم ، وهى تجربة قاسية ، فلنحاول تقسيم الحاضرين إلى طوائف تَفْصِل بينها حواجز ، لنأمن الثورة المرتقبة من هياج الغرائز الغافية فى صدور الطير والحيوان . ولهذا اليوم ما بعده يارفيق ، فإن نجحنا فى تنظيم هذه الجلسة إلى أن تمر بسلام ، فسنكون أهلاً للثقة التى تمنحنا الحق فى أن نكون على جميع الخلائق رقباء

اليوم المشهود

كان سكان الجنة تسامعوا بأخبار حواء ، ولم يرها منهم إلا الأقلُّون ، بسبب احتجازها بين البواسق ، وبسبب نفرتها من أهل اللغو والفُضول ، وبفضل ما فُطِرت عليه من الدلال المَدُوف بالكبرياء

والفرصة الوحيدة لأن يروها أجمعون هى حضور محاكمة آدم فى ساحة العدل ، فمن المؤكد أنها ستحضر لمواساة فارسها الجميل

خفَّ سكان الفردوس لمشاهدة حواء ، ولم يتخلف إلا من صدَّته الرعاية الواجبة للأفراخ أو الأشبال

من كان يظن أن الأسماك رحَّبَتْ بالموت لتقضى ساعة أو ساعتين فى مشاهدة حواء ؟

وتقدم غضنفلوث لتمتطى حواء ظهره النبيع ، فدخلت الساحة فى عِزة لا يظفر بمثلها الملوك

فكيف كانت حواء فى ذلك اليوم ؟

كانت وكانت وكانت :

كان طرفها الكحيل يَمد ويُخلف فى اللمحة الواحدة ألوف المرات ، وكأنه جذوات تقتتل فى هدوء وسكون

وكان أنفها فى ملاحته يتموج تموّجاً نورانيًّا فى حدود يوحى بها لحنُها الرنّان

وكان صوتها — صوت حواء الجميلة — يشهد بأن حناجر البلابل والعنادل أُودعتْ حلقها الرخيم

وكان نحرُها — نحر حواء — مرمراً ينطق . وما أخطرَ المرمرَ الذى ينطق !

وكان لثناياها بريق يفوق بريق الحَبَب عند فورة الرحيق

وكان لذراعَـيْها استدارة فنية تهتف بأن الله يزيد فى الخلق ما يشاء

أما جسم حواء فى جملته بلا تفصيل ، فهو الوجود فى جملته بلا تفصيل

كانت أرقّ من الأزهار فى آذار ، وأعذب من الأعناب فى آب

كانت أحلى من وسوسة الأمانى فى الصدر المكروب ، وأشهى من جلجلة المعانى فى القلب الموهوب

وكان تثنّيها يوهم بأن قوامها أُلّـف من خطرات تفوق العدّ والإحصاء

فى المكان المحدود من جسمها البديع ألوان وألوان ، فكأن كل جزء من أجزاء ذلك الجسم قصيدة تحترب فيها القوافى والأوزان ، والألفاظ فى الشعر الرائع تشبه الأوصال فى الجسم الفينان

كانت حواء فى ذلك اليوم . . . كانت وكانت وكانت

فكيف كانت ؟ كيف لا كيف ، ألم يكف أنها كانت حواء ؟

قال الصقر : لو كانت هذه أنثاى لنـذرت الصوم عن لحوم الكنار شكراً لله على هذه المنحة الغالية

وقال الأسد : لو كانت هذه أنثاىَ لشكرتُ الله بالصفح عن القرود

وقال البلبل : لو كانت هذه أليفتى لابتدعت لحناً يسكر سكان الفردوس

فهتف هاتف : حواء لآدم ، وآدم لحواء ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان . فغضُّوا أبصاركم عن حسنٍ هو عزاء آدم فى بلواه ، وهو حجته فى استباحة العصيان

محكمة ، محكمة !!

ونظر آدم فرأى جلال الله يُسيطر على الموقف ، ورأى أنه سيحاسَبُ أمام جميع الخلائق

— رباه ، أجرنى !

وكيف أُجيرك وأنت مذنب ؟

أُحب أن يكون الحساب فى جلسة سرية

— لماذا ؟

— لأدافع عن نفسى بحرية ، فعندى كلام لا أحب أن يسمعه القرود ، ولأنى أخاف أن تنصعق حواء من شماتة الشامتين ، وهى أرقُّ من الوهم الذى يساور القلب الأوّاب

— لك يا مخلوق الأثير ما تريد على شرط أن تكتم ما سيدور فى الجلسة السرية ، فأنا أعلم أنك ستفوه بأقوال تزلزل عزائم الآساد فى رعاية الأشبال .

زكى مبارك

خسرو وشـــيرين

فى التصوير الاسلامى

للدكتور محمـــد مصطفى

— ٢ —

استطاع القائد بهرام جوبين أن يوقع بين الملك هرمزد وولده الأمير خسرو برويز ويغيّر رأيه عليه ، فاستحضر هرمزد صاحب سره وسأله أن يدبر فى الاحتيال لاغتيال خسرو ، فخدعوا بعض خواصه بمال وواضعوه على أن يسقيه سمّاً يقتله . ولمّا علم خسرو بذلك أشار عليه معلمه بُزرجيد الحكيم ، فركب تحت جناح الليل وخرج من المدائن يسوق طرداً وركضاً فى طريق آذربيجان[1] — أو كما يقول الشاعر نظامى الكنجوى — فى الطريق إلى أرمينية[2] . وكان أن التقى بحبيبته شيرين وهى تستحم فى بركة الماء دون أن يعرف أحدهما الآخر ، وافترقا وقلب كل منهما يحدثه أنه رأى حبيبه ، فواصل هو طريقه إلى أرمينية ليحظى برؤيتها ، وتابعت هى طريقها إلى المدائن لتبحث عنه ...

وكان خسرو — قبل أن يغادر قصره فى المدائن حيث كان فى انتظار نتيجة مساعى سفيره شابور — قد أخبر رؤساء خدمه وجواريه باحتمال مجىء سيدة جميلة ، ذات مقام رفيع ، ونزولها ضيفاً عليه ، وأمرهم بحسن استقبالها بما يليق بمقامها من الاحترام والإجلال ، وشدد عليهم فى إجابة جميع رغباتها

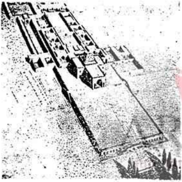
(١) أنظر الشاهنامه جـ ٢ ص ١٩٥ ، الطبرى جـ ٢ ص ١٣٦ ، نولدكه ص ٢٧٣ والحاشية .

(٢) كانت أرمينية إذ ذاك — كما كانت آذربيجان — من أملاك إيران ، وكانت موضع مساومة بين موريس أمبراطور الروم وخسرو برويز ، نظير مساعدة موريس لخسرو ضد القائد بهرام جوبين الذي اغتصب عرش إيران . انظر المراجع السابقة وانظر أيضاً :

Laurence Binyon, The Poems of Nizami, p. 18

F. I. W. Gibb, A History of Ottoman Poetry, I, p. 317 و

وصلت شيرين المدائن ، وتوجهت إلى قصر خسرو ، كما أوصاها شابور ، حيث أظهرت الخاتم الذى أرسله خسرو إليها ، فقوبلت بالترحاب ، ونزلت هنالك معززة مكرمة مطاعة من الجميع ؛ ولـكنها لمـا علمت بغياب خسرو عن القصر ، شعرت بالسأم يدب حولها فيه ، ورغبت فى السكنى بعيداً عنه ، فأجيبت إلى هذه الرغبة ، وبنى لها قصر عظيم بين الهضاب المرتفعة ، لعلها تجد فيه من ضروب اللهو والتسلية ما يجلب السرور إلى قلبها ، وعرف القصر باسمها ، فقيل « قصر شيرين »



(شكل ١)

وفى (شكل١) تخطيط[1] لقصر شيرين فيه محاولة لإرجاعه إلى حالته الأصلية نرى فيه ما كان عليه القصر من العظمة واتساع الأرجاء . وتوجد آثار هذا القصر بين الهضاب فى إيران على بعد حوالى عشرين ميلاً من الحدود العراقية فى الطريق إلى كرمانشاه[2] . ويقول ابن الفقيه[3] إن « السبب فى بناء قصر شيرين أن الملك أمر أن يبنى له باغ يكون فرسخين فى فرسخين وأن يصيّر فيه من كل صيد حتى يتناسل ، ووكل به ألف رجل

(١) نقلا عن : Oscar Reuter, Sasanian Architecture, in, S. P. A., I, p. 542.

(٢) انظر : F. Sarre, Die Kunst des alten Persien, S. 38

و G. Bell, Palace and Mosque at Ukhaidir, pp. 44—50, pls. 51—73.

(٣) فى كتاب البلدان — طبعة ليدن — ص ١٠٨ — ١٠٩

وأجرى على كل رجل منهم خمسة أرغفة ورطلين لحماً ودورق خمر ، فأقاموا فيه سبع سنين حتى فرغوا منه . . . وسماه باغ نخجيران أي باغ الصيد » ويروى ابن الفقيه عن قصر شيرين أبياتاً منها :

ياذا الذى غره الدنيا وبهجتها وحسن زهرة أنوار البساتين
والدور تخربها طوراً وتعمرها باللبن والجص والآجر والطين
أما رأيت صروف الدهر ما صنعت بالقصر قصر أَبَرْوِيزٍ وشيرين
قد صار قفراً خلاء ما به أحد إلا النعام مع الوحشية العين
سبحان من خلق الدنيا ودبرها وأنشأ الخلق من ماء ومن طين

وصل خسرو إلى أرمينية ، ونزل ضيفاً على ملكتها مهين بانو ، فأخبرته عن اختفاء ابنة أخيها شيرين، ودَعَتْه لأن يمكث فى أرمينيا طول مدة الشتاء ، فقبل الدعوة . وجاءه شابور بعد ذلك بأيام قلائل، وأخبره بكل ما فعل . فأبلغ خسرو الملكة بوصوله وبما جاء به من الأخبار عن شيرين ، واتفقا أن يرجع إلى المدائن ليعود بها إلى أرمينية . وهكذا أمرت الملكة مهين بانو أن يركب شابور على الفرس « جُلْجون(١) » وهو فرس آخر فى حوزتها ، كان يضارع الفرس « شَبْديز » فى شهرته . ووصل شابور إلى المدائن حيث وجد شيرين قد تركتها إلى قصرها بين الهضاب ، فتبعها إلى هنالك وأبلغها رغبة عمتها ، وأقنعها بالعودة إلى أرمينية حيث ينتظرها خسرو ، فركبت شيرين الفرس « جُلْجون » — إذ كانت قد تركت شَبْديز فى المدائن — ورحلت إلى أرمينية فى صحبة شابور

وفى ذات الوقت جاء رسول من المدائن وأخبر خسرو بثورة القائد بهرام جوبين ، وأن الثوار قد قبضوا على أبيه الملك هرمزد وسملوا عينيه وأرغموه أن ينزل له عن العرش ، بعد أن أعلن بهرام جوبين طاعته لخسرو إذا هو تولى الملك . فأسرع خسرو إلى المدائن ، حيث توج ملكاً على إيران . وهناك علم أن شيرين قد رحلت مع شابور إلى أرمينية ، وأنها قد تركت له الفرس شبديز هدية منها . ولكن سرعان ما ظهرت نيات القائد بهرام جوبين الحقيقية ، وأنه قصد بهذه الثورة أن يغتصب عرش إيران لنفسه . وهكذا اضطر خسرو — وقد تبين قوة خصمه — أن يعمل بنصيحة معلمه بزرجيد الحكيم ، ويغادر البلاد بعض الوقت ، إلى أن يبدأ نجمه فى الارتفاع ، فيتحين الفرص لاسترداد حقوقه .

وأخيراً تقابل الحبيبان ، إذ جاء خسرو إلى أرمينية بعد وصول شيرين وشابور بوقت قصير . وصادف مجيئه خروج شيرين وصويحباتها للصيد ، فقابلته فى الطريق وعرف كل منهما الآخر ، وكاد يطير سروراً بهذا اللقاء ، وصحبته إلى عمتها مهين بانو ، فاستقبلتهما بما جبلت عليه من لطف وطيبة قلب . وانتهزت هذه العمة الطيبة فرصة انفرادها مرة بابنة أخيها شيرين ، وتوسلت إليها أن تحتفظ بوقارها فى جميع المناسبات ، وأن تناضل فى سبيل الدفاع عن شرفها ، والمحافظة على طهرها وعفافها ، فوعدتها شيرين بذلك . فسمحت لها العمة بالخروج مع خسرو فى رحلة إلى الريف ، حيث قضيا شهراً وهما يستمتعان بالصيد وضروب التسلية الأخرى .

وفى (شكل ٢) خسرو وشيرين وهما يدخلان أحد القصور فى أرمينية عند رجوعهما من الصيد ، وقد وقف فى استقبالهما بعض أكابر الدولة من أفراد الحاشية ومعهم الخدم والجوارى . وهذه الصورة(١) فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوى ، كتبه محمد بن الأزهر فى هرات سنة ٨٩٠ هجرية

(١) جلجون أى ذو اللون الوردي . ويروى أن جلجون وشبديز هما نسل فرس أصيلة أرمينية ، وأن أباهما تمثال لفحل جيل منحوت فى صخرة سوداء موجودة فى كهف بجبال أرمينية أنظر :
F. I. W. Gibb, I. p, 318 n. 2.

(١) منقولة عن : Martin, Les miniatures de Behzad dans un manuscrit persan daté 1485, pl. 12
انظر أيضاً : Martin, Miniature Painting, II, pl. 77
و Glück und Diez Kunst des Islam, p. 510
و Binyon — Wilkinson — Gray, p. 95, no. 78 e, pl. LXII B

(١٤٨٥ م) . وكان مؤرخو الفن الإسلامي ينسبون الصور التوضيحية التى فى هذا المخطوط للمصور بهزاد ، وذلك لما امتازت به من الدقة فى رسم المبانى والأشخاص . والظاهر أن بهزاد كان له فى ذلك الوقت بمدينة هرات تلاميذ صوروا هذه الصور ، وأسبغوا عليها الكثير من روح أستاذهم(١) . وهذا المخطوط محفوظ في مجموعة شستر بيتي بلندن

* * *

قضى الحبيبان شهراً وهما يتسليان بالصيد ولعب الكرة وغير ذلك من أنواع التسلية ، إلى أن دعا خسرو شيرين لمأدبة أقامها لها فى مضرب خيامه . وكانت مأدبة فاخرة استمعا فيها لأغانى « باربُد » مطرب خسرو و « نيكيسا » مطربة شيرين ، ومن بين شفاه هذين المطربين كان فيض الهوى يتردد ، وكانا يتجاوبان بما يكنه قلب كل من العاشقين للآخر



(شكل ٢)

وفى (شكل ٣) جلس خسرو على سجادة فى منظرة بحديقة غناء ، يستمع لموسيقى مطربه باربد الجالس أمامه إلى جوار الفسقية وبين يديه « عود » كبير يحرك أوتاره ، بينما جلس بعض أكابر الدولة يستمعون لباربد ويتسامرون وهم يتناولون الطعام والشراب ووقف فى خدمتهم الغلمان والسقاة والخدم ، وقد ظهر على وجه كل منهم مبلغ اهتمامه بما يعمل . ونلاحظ فى هذه الصورة الدقة



(شكل ٣)

فى تصوير المبانى والأشجار والزهور ، وفى رسم الحيوانات على الحائط خلف خسرو ، وكذا صورة التنينين فى أعلى القبة إلى جانبيها . وهذه الصورة(١) من تصوير « ميرزا على » . وترى إمضاؤه فى أسفل الصورة إلى اليسار . وهى فى مخطوط نظامى المؤرخ بين سنتى ٩٤٦ و ٩٥٠ هجرية (١٥٣٩ — ٤٣ م) المكتوب للشاه طهماسب

واشتهر باربُد(٢) بجمال الصوت وحسن التوقيع والمقدرة على وضع القطع الموسيقية وتأليف الألحان ، وصارت ألحانه حجة أساتذة الموسيقى ، وكان بارعاً فى الضرب على العود . ويروى أبو الفرج الأصفهانى(٣) أنه «ضرب يوماً بين يدى كسرى فأحسن

(١) انظر : S. P. A., III, p. 1963

(١) منقولة عن : Laurence Binyon. pl. XI
انظر أيضاً : Martin, II, pl. 137 و S. P. A., III, p. 1879

(٢) يذكر باربد فى الكتب العربية بأسماء متقاربة ، فمثلا يسميه أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى « الفهلبذ » ويسميه ياقوت الحموى فى معجم البلدان «البهلبذ»، وهو بذلك الاسم فى قصيدة البحترى التى وصف بها إيوان كسرى ، أنظر كتاب البلدان لابن الفقيه ـ طبعة ليدن ـ ص١٥٨ فى الحاشية ، والشاهنامة ج ٣ ص ٢٤١ فى الحاشية

(٣) فى كتاب الأغانى ـ طبعة دار الكتب المصرية ج ٥ ص ٣٨١

فحسده رجل من حذّاق أهل صنعته ، فترقبه حتى قام لبعض شأنه ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعض أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدرى ، والملوك لا تصلح فى مجالسها الميدان ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العود فعرف ما فيه »

وكان بَارْبُد محبباً لخسرو برويز ومقرباً إليه ، فكان يقصده أصحاب الأمور لعرضها على خسرو إذا خافوا أن يبطش بهم . ويروى ياقوت الحموى[1] أنه لما عرف خسرو برويز بمرض الفرس شَبديز – وكان عزيزاً عليه – قال: «لئن أخبرنى أحد بموته لأقتلنه . فلما مات شبديز خاف صاحب خيله أن يسأل عنه فلا يجد بداً من إخباره بموته فيقتله . فجاء إلى البَهْلَبَذ مغنيه ، ولم يكن فيما تقدم من الأزمان ولا ما تأخر أحذق منه بالضرب بالعود والغناء . قالوا كان لأبرويز ثلاث خصائص لم تكن لأحد من قبله : فرسه شبديز ، وسريته شيرين ، ومغنيه بهلبذ، وقال اعلم أن شبديز قد نفق ومات وقد عرفت ما أوعد به الملك من أخبره بموته فاحتل لى حيلة . فلما حضر بين يدى الملك غناه غناء روى فيه القصة إلى أن فطن الملك وقال له : ويحك ! مات شبديز . فقال : الملك يقوله . فقال زه ! ما أحسن ما تخلّصت وخلصت غيرك ! ... » وقد ذكر هذه القصة خالد الفياض فى شعر قاله وهو :

والملك كسرى شهنشاه تقنّصه ... سهم بريش جناح الموت مقطوب
إذ كان لذّته شبديز يركبه ... وغُنْج شيرين والديباج والطيب
بالنار آلى يميناً شدّ ما غلظت ... أن من بدا فنعى الشبديز مصلوب
حتى إذا أصبح الشبديز منجدلاً ... وكان ما مثله فى الناس مركوب
ناحت عليه من الأوتار أربعة ... بالفارسية نوحاً فيه تطريب
ورنّم البَهْلَبَذُ الأوتار فالتهبت ... من سحر راحته اليسرى شآبيب
فقال مات فقالوا أنت فُهْتَ به ... فأصبح الحنث عنه وهو مجذوب
لولا البَهْلَبَذ والأوتار تندبه ... لم يستطع نعى شبديز المرازيب

(له بقية)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(1) فى كتاب معجم البلدان – طبعة ليبزج – ج ٣ ص ٢٥١–٢٥٢

مُرسَلات . . .

« هذا عنوان نرجو أن نكتب تحته فى الحين بعد الحين كلمات موجزة فى معان شتى ، وإن فى الايجاز لبلاغا لقوم يعقلون ! »

الضمير

سر غريب ، وروح عجيب ، أودعه الله الإنسان فجعل منه قوة مسيطرة عليه ، متصرفة فيه ، لا يملك لها دفعاً ، ولا يستطيع منها تخلصاً ، ولا يجد من دونها موئلاً !

آمنت بك يا رب ! خلقت الإنسان ضعيفاً ، وركبت فيه نوازع الشر والخير ، ثم قلت له بلسان قدرتك : اعمل ما شئت فقد جعلت عليك رقيباً لن تغيب عنه ولن يغيب عنك ، وليس إلى مصانعته أو مخادعته من سبيل !

آمنت بك يا رب ! هم ينكرون حسابك فى الآخرة وأنت تحاسبهم فى الدنيا ، وهم يتساءلون : كيف يكون لابن آدم معقبات من بين يديه ومن خلفه ؟ وأنت جعلت له معقباً فى قرارة نفسه

ولكن يا رب ، سؤالَ غير معترض عليك ، ولا معقب على حكمك : هل جعلت هذا الضمير أداة عذاب ، وكتبت به على فريق من الناس أن يظلوا منه فى حرب عوان مع هذه الدنيا الملتوية ؟ إن الباطل ، يا رب ، قد استعلى على الحق ، وطغى على الخلق ؛ وإن الرجل ليصدع بكلمة الصدق فيُتخذ سِخريا ، ويكون أُضحوكة الضاحكين ، وأُندورة المتندِّرين ، وإن الكاذب الخادع ليلتوى ويتخابث فيشق طريقه بين الناس فى أمن وطمأنينة وسلام !

لقد أصبح الباطل مُعمَّماً فى الناس مُخولا ، وأصبح الحق يتيما لطيما ! فماذا يفعل امرؤ ذو ضمير يدعوه إلى الإخلاص فى عمله والفناء فيه ، وهو يرى البيئة الفاسدة عدواً له ، وحرباً عليه ؟ ماذا يفعل إذا استحثه ضميره على السير فى طريق الخير قُدُماً وهو يرى القافلة كلها تسير فى غير الطريق ؟ أيبطل مع المبطلين ، ويفسد مع المفسدين ؟ وأنى له ذلك وهو امرؤ ذو ضمير ؟ أم يصادم ويقاوم ويثور ويغضب ويجادل ويناضل ؟ وكيف يأمن مع ذلك على نفسه وخلقه ؟ ومتى يذوق طعم الراحة ؟

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ! »

محمد محمد المدنى

معارج الأحداث

للأستاذ سعيد الأفغاني

ولست أعنى بالأحداث من صغرت أسنانهم فقط، وإنما عنيت مع ذلك، أشباههم: ممن صغرت أقدارهم، وضؤلت معارفهم، ورقت عقولهم، وانحطت هممهم وتخلفت أعمالهم ... ولو جللهم المشيب وعلت رؤوسهم النسائج البيض.

ولعمر الله ما أدرى لِمَ يُعْرِض الكتاب عن طبقة هى إحدى عوائق النهضة الصحيحة لعصرنا، فلا يصفون منها ما يصف الطبيب من الجراثيم وأعراضها وفتكها، ثم ما يكون من سبل الوقاية، وطرق العلاج. وهى طبقة تراها منبثة فى الشوارع والأندية والمجامع والمعاهد والدواوين ... لم يرزقها الله من المواهب ما تستطيع أن تنفع به، وحز فى نفسها شعورها بالضعة وسقوط المنزلة، فاندفعت فى صفاقة وقحة تدعى ما ليس فيها، ثم ترامت فى الطعن على الناس ذوى الأقدار ليعتقد لهم الجاهل بذلك فضلا.

فإن كنت تنسب أمر الأطفال الذين يبغون أن يكونوا زبيباً قبل (التحصرم) إلى غرة الحداثة، فما أنت ناسب إلى ما أعرض عليك:

هذا أديب حباه الله كل المواهب اللازمة للأدب، وأخذ نفسه بدرس طويل وصبر أطول حتى أخرج للناس أدباً نافعاً وأصبح مشاراً إليه؛ فيطمح فريق من أحداثنا، هؤلاء إلى مثل مكانته، فلا يكلفه الأمر أكثر من محاولته جلب الأنظار إليه بالصراخ والغثاثة والدعوى العريضة، فإذا شكا إليك إعراض الناس، ونبهته إلى ماينقص من وسائل أو مواهب، وأنه يحسن به أن يأخذ للأمر أهبته، رماك - فى غيبتك - بالتثبيط، وحمل عنه هذه الفرية من كنت تظن بعقله البعد عن الانخداع.

وهذا يريد أن يكون كاتباً ولما يُحسنْ سبك جملة صحيحة بعد، ولما يستوعب فهم صفحة يقرؤها فهماً صحيحاً، يعرض عليك مقاله فتنصحه بالتعلم، فيزورّ عنك محتجاً بتحقير شهاداته العالية ويطوف إدارات الصحف أو المجلات هو ووسطاؤه، فيروعك أن ترى سخفه منشوراً، ويروعك أكثر أن تراه أحياناً قصد من لا تشك فى إطلاعه وبصره، فيغشه فى فترة سأم وإعياء.

وذاك لم يدّع أدباً ولا كتابة، ولكن حلاله أن ينتسب فى الباحثين، نسطا على بحث نشر فى بلد بعيد، وفقرات فى الموضوع نفسه من كتابين قديمين، فقطّع ذلك خمسين قطعة، ثم عاد فوصل بين ما قطّع بجمل من عنده، وقدم فيها وأخر، ثم رقّم هذه الجمل وجعل لكل رقم حاشية تدل على صفحة مصدره - تشبهاً بما فهم من الأسلوب الحديث - فاستوى له بإذن الله ما سماه بحثاً علمياً، فإذا بك تجد كلاماً لا انسجام بين أجزائه ولا تساوق بين أفكاره يلعن بعضه بعضاً، فإذا قلت له: إنه غير مفهوم، أجابك: هذا هو الأسلوب العلمى

وذلك — عافاك الله — لا أديب ولا كاتب ولا باحث، لكنه لغوى يا سيدى، يعنى أنه يسود صفحات بالركاكة والابتذال والمط والتطويل والسخف، حتى إذا واتاك صبرك وانتهيت منها قراءة، وقذفت بالمجلة أرضاً، وأغمضت عينيك تستعيد ما مرّ بك ... إذا كل ذلك: كلام فى أن (وابور الزلط) من عامية مصر، أو أن (الجسر) فى عامية الشام هو (الكبرى) فى عامية مصر

وإن كان محاضراً لبث أسبوعين (يبشر) بمحاضرته ويدعو لها ويلقاك فى الطريق، أو حافلة الترام، أو عند الوراق، أو حاملاً حاجة، أو منطلقاً عجلان، أو منقلباً إلى دارك ... فاستوقفك ساعة وحدثك بمحاضرته وما حوت من نكات، وأكثر عليك من حركاته و (تهريجه)، حتى يقتلك قتلاً، فلا يتركك إلا وقد أخذ عليك عهداً: لتحضرنها أنت وأهلك وأصحابك وجميع معارفك، فإذا وفيت بعهدك، فويل لك من نفسك، وويل لأصحابك: لقد شبعتم خجلاً من أنفسكم وتهكماً، وأوسعكم المحاضر الكريم غثاثة وثقلاً

وهذا نمط آخر خير مما تقدم: لا أديب ولا كاتب ولا باحث ولا لغوى ولا محاضر ولا شىء من الأشياء مما يبهر أثره إلى الوجود، ولعله يحسن أن يسلخ أهاجى الأموات يهجو بها الأحياء، ولعله يتمدح إلى الموسيقى باطلاعه على التاريخ، وإلى الكيميائى بباعه فى الدين، وإلى الرياضى بحذقه النحو، وإلى التاجر بأنه شاعر... تطمح نفسه إلى أن يسند دعاواه بالانتساب إلى أى جماعة ذات شأن - ولو رسميًّا - فى العلم أو الأدب أو الصحافة، فلا ترى الجماعات فيه شيئاً يسيغ أن يسلكه فى زمرها، فيشتد على أفرادها بالشتم والهجاء حتى تتحقق رغبته، وما كانت لتتحقق

لولا خراب الضمير الأدبي في بعض الأفراد

وآخرون من غير هذه الأنماط : منهم في الشام ، ومنهم في العراق ، ومنهم في مصر ، أهمل الكتابة في شأنهم الأدباء غفلة أو تهاونا ، على أن أمرهم سيء العواقب على المستقبل : تراهم مبثوثين في كل طبقة كما انبثت الطفيليات في المواد الحيوية ، تبقث هي الجراثيم ، وعلى ضحاياها تحمل النتائج :

هنا نادٍ ذو غاية نبيلة يعمل بعيداً عن الدسائس ، فيندس فيه من لا يظهرون إلا على خراب غيرهم ، فلا يزالون به حتى تسود بين الناس صحيفته . وهناك صحيفة كانت راقية أخذت تشجع هذه الطفيليات بدل أن تنصحها أو تبعدها ، حتى انحط مستواها وكسدت سوقها بين العارفين

فإن رحت تبحث عن بواعث الداء وجدته في فقدان الكرامة وضعف الضمير المسلكي عند القيمين على بعض دور الصحف والمجلات وأندية العلم ، ولو أنهم أقاموا لموازين الحق بعض الاعتبار ، لحفظوا أقدامهم من السقوط

أفليس من واجب الأدباء أن نرى هذه الألوان في أدبهم ، وأن نجد فيه صفة هذه الطبقة والتحذير منها ومن ضررها على الناشئين وعلى سمعة البلاد الأدبية . ومعالجة هذا الداء واجبة ، إذ لا يخلو من مرضاه مصر من الأمصار . فهل لي أن أقرأ في هذه المجلة الكريمة لكتابنا الاجتماعيين كلمات شافيات ؟

وبعد ، فلست متشائماً ، ولا أمنع أن يكون فيمن ينتسبون إلى العلم والأدب أناس علماء حقًّا أدباء حقًّا ، لهم كرامة وبهم شجاعة ؛ لكنني موقن أنهم مشتتون ، جهودهم ضائعة غير متضافرة ، مع إيثار منهم للراحة والسلامة ، فلهؤلاء أقول :

إنكم حقًّا في سبيل صون ميادين العلم والأدب عن الأدعياء الأدنياء ستلقون أذًى كثيراً ولكن العاقبة لكم ، والفناء أبداً إلى الاضمحلال . وما بلينا به يبلى به من كان قبلنا ، ولم يخل عصر من مثل هذه الطبقة التي لا تحسن شيئاً وتستطيل على المحسنين ، وما جمع الله لذي كرامة : الصدع بالحق ، والسلامة من الناس .

« دمشق » **سعيد الأفغاني**

ســيلان

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سيلان أو سرنديب اسم تردد على شفاه معظم المصريين منذ ستين عاماً . فى ذلك الوقت كانت الثورة العرابيــة تجتاز آخر مراحلها ، فقد كان زعماؤها يحاكمون وحكم عليهم بالإعدام فى ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ وأبدله الخديوى توفيق فى الحال بالنفى المؤبد خارج القطر فنفوا إلى جزيرة سيلان وصودرت أملاكهم وجردوا من ألقابهم . عرف المصريون إذن جزيرة سيلان ؛ ولقــد خلد اسم هذه الجزيرة فى الأدب العربى بما كتبه فيها محمود سامى البارودى باشا من شعر مؤثر فى الحنين إلى الوطن والحزن لفراقه . قال يصف الرحيل عن أرض الوطن :

محا البين ما أبقت عيون المها منى ... فشبت ولم أقض اللبانة من سنى
عناء ويأس واشتياق وغربة ... ألا شد ما ألقاه فى الدهر من غبن
فإن أك فارقت الديار فلى بها ... فؤاد أضلتــه عيون المها عنى

وقد أسبغ النفى والحرمان عليه شارة التضحية والبطولة فكتب شعراً يفيض عظمة وجلالاً قال من قصيدة فى منفاه :

علام يعيش المرء فى الدهر خاملاً ... أيفرح فى الدنيا بيوم يَعُدُّه
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش ... بها بطلاً يحمى الحقيقة شدُّه

ومن قصيدة أخرى :

لم أقترف زلة تقضى علىّ بمـا ... أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى ... ذنب أدان به ظلماً وأغترب
فلا يظن بى الحســاد مندمة ... فإننى صــابر فى الله محتسب
أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبت ... أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفساً وهى عالية ... ولا يشيد بذكر الخامل النشب

وقد قضى بها سبعة عشر عاماً ، ثم عاد إلى مصر فى شهر سبتمبر ١٩٠٠ بعد أن فقد نور عينيه . أما عرابى باشا فقد عاد فى أول اكتوبر ١٩٠١ . وقد مات بهذه الجزيرة من الزعماء السبعة عبد العال باشا حلمى (فى ١٩ مارس ١٨٩١) ودفن بكولمبو ، ومحمود فهمى باشا فى (١٧ يوليو ١٨٩٤) ودفن بكندى ويعقوب سامى باشا (أكتوبر ١٩٠٠) ودفن بكندى أيضاً

هذا ما كان منذ ستين عاماً . أما اليوم فإن العالم يذكر هذه الجزيرة بمناسبة اقتراب الخطر اليابانى منها ؛ فقد كان من آثار تطور الحرب فى الشرق الأقصى أن استهدفت هذه الجزيرة للغزو اليابانى . وقد كانت وقعت أول غارة جوية على عاصمتها كولمبو فى ٥ إبريل سنة ١٩٤٢ ، وحاول بعض جنود المظلات اليابانية الهبوط بها مما دعا القائد العام إلى أن ينبه السكان إلى وجوب مقابلة هؤلاء الجنود وإلقاء القبض عليهم أولاً بأول . ومنذ ذلك التاريخ بدأت هذه الجزيرة تحتل مكاناً ممتازاً فى أنباء العالم

هذه الجزيرة

تقع فى جنوب الهند ؛ وليس هناك شك فى أنها كانت متصلة بها يوماً ما إذ هى تشبهها من عدة وجوه . وشكلها كالكمثرى وهى أصغر قليلاً من إيرلندا ومساحتها ٢٥٠٠٠ ميل مربع ، وطولها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ٢٧٠ ميلاً

أما من حيث التضاريس فإن وسط هذه الجزيرة تحتله كتلة جبلية يصل ارتفاعها فى بعض الجهات إلى أكثر من ٨٠٠٠ قدم ويحيط بهذه المرتفعات سهول ساحلية واسعة . والسهل الساحلى فى الشمال منبسط وتوجد به كثير من أشباه الجزر الرملية ، وتبعد شبه جزيرة ماثر ٢٢ ميلاً فقط عن أقصى جنوب الهند ، وترتبط سيلان بالهند بسلسلة من الشطوط الرملية والصخور تسمى بقنطرة آدم

ونظراً لقرب هذه الجزيرة من خط الاستواء فإنها دائمة الحرارة، ويخفف من حرارتها إحاطة الماء بها . وتسقط بها الأمطار صيفاً على الساحل الغربى نتيجة لهبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية عليه أما شرقها فتسقط أمطاره شتاء لهبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية عليه

الغلات والنبات

تغطى سفوح المرتفعات الدنيا غابات كثيفة وقد قطعت وزرع مكانها أشجار المطاط والشاى والكاكاو ؛ وفى الوديان يزرع الأرز وأشجار جوز الهند . وتقوم عدة صناعات متصلة بجوز الهند فتجفف حباته وتصدر ، وتقوم المصانع بإعداد زيت جوز الهند وتصديره . ومن أهم التوابل التى تصدرها القرفة . وعلى الشواطىء يشتغل الأهالى بصيد السمك

٣٢ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل العاشر – « الخرافات »

ولما تولى الولى السابق ذكره أعماله أخذ يتجول فى قسمه فرأى بائع فول يبيع لحرفائه كالعادة . فتناول حجراً وكسر بها قدر الفول ، فقفز البائع إليه وتناول جريدة بالقرب منه وضرب الولى بها ضرباً مبرحاً . ولم يشك الولى ولم يصرخ وانصرف حين أذن له . وحاول بائع الفول بعد انصراف الرجل أن يلتقط بعض ما تناثر من القدر ، وكان قد بقى منها قطعة فى مكانها ؛ فلما نظر البائع فيها رأى ثعباناً سامًّا ميتاً . فصاح مرتاعاً مما فعل : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! أستغفر الله العظيم . ماذا فعلت ؟ هذا الرجل ولى وقد أتلف الفول التى كاد يسمم حرفائى » . وجعل ينظر إلى كل مار طول هذا اليوم عسى أن يرى مرة أخرى الولى الذى أساء إليه ليستغفره . ولكنه لم يره لأن الولى كان مرضوض الجسم لا يستطيع أن يمشى . وفى اليوم التالى نهض الولى بالرغم من ورم أعضائه وأخذ يعرج خلال قسمه فكسر جرة لبن كبيرة فى دكان لا يبعد عن دكان بائع الفول كثيراً ، فعامله اللبان معاملة الفول . وبينما كان يضربه أسرع بعض الناس إليه وأخبروه أن هذا الرجل الذى يضربه ولى ثم سردوا عليه قصة الحية التى كانت فى قدر الفول وقالوا اذهب وانظر جرتك فترى فيها شيئاً سامًّا أو نجساً . ونظر الرجل فوجد فى بقية الجرة كلباً نافقاً . وفى اليوم الثالث سار الولى فى الدرب الأحمر يعرج على عصا متألماً ، فرأى خادماً يحمل على رأسه صينية عليها أطباق من اللحم والخضر والفاكهة أعدت لجماعة كانوا ذاهبين إلى النزهة فى الريف فوضع الولى عصاه إذ ذاك بين رجلى الخادم فقلبه ، وتناثرت محتويات الأطباق فى الشارع ، فأخذ الخادم يسب على الولى اللعنات ويضربه ضرباً عنيفاً ، وتجمع الناس ولاحظ أحدهم كلباً يأكل من هذا الطعام ثم لم يلبث

السكان

يسكن هذه الجزيرة أربعة ملايين ونصف مليون من الأنفس ، وقد قدموا إليها من الهند فى عصور متفاوتة ومعظمهم بوذيون ديناً . وفى كاندى معبد يسمى معبد السنة The Temple of the Tooth وهو من أعظم المعابد حرمة وقدسية لدى البوذيين . أما الباقون فيدينون بالهندوكية وقد جاءوا سيلان من الهند قديماً كغزاة ؛ أما اليوم فإنهم يهاجرون إليها كعمال يعملون فى مزارع البن والشاى والمطاط . وفى الجهات الجبلية ما تزال بعض القبائل تعيش على الفطرة

وقد كانت هذه الجزيرة تابعة لحكومة الهند ، ولكن منذ سنة ١٨٠٢ فصلت عنها وأصبحت مستعمرة تابعة للتاج البريطانى

كولمبو

عاصمة الجزيرة وتقع على شاطئها الغربى وقد كانت محط أنظار اليابانيين وإليها وجهوا أول جهودهم وذلك بالنسبة لما لموقعها من أهمية : فهى محطة للفحم ، منها تتزود السفن المحيطية القادمة من أوربا إلى أستراليا والشرق الأقصى ، وبها تمر السفن القادمة من شرق الهند إلى غربها تفادياً للمرور من مضيق (بالك) الضحل ، فمعنى الاستيلاء عليها تعذر المواصلات بين شرق الهند وغربها وبين بريطانيا وأستراليا ، وإضعاف مركز بريطانيا الحربى إضعافاً كبيراً

وقد علقت الديلى تلغراف على هجوم اليابانيين على كولمبو وسيلان فأشادت بالنصر العظيم الذى أحرزته القوات البريطانية فى دفع العدوان اليابانى عن الجزيرة ونبهت إلى أهمية موقع الجزيرة قائلة : « ولسنا نرى فى جزيرة سيلان حصناً لحراسة الهند ومواصلات الهند مع الشرق الأوسط وأوربا فحسب ، ولكننا نرى فيها أيضاً مركزاً قوياً لتركيز العسكرات وتوجيهه إلى خطوط الهجوم اليابانية البعيدة الانتشار »

أبو الفتوح عطيفة

أن نفق . فسارع إلى منع الخادم من ضرب الرجل وأخبره بالحادث الذى أثبت ولايته . فجعل الخادم يعتذر للولى ويرجوه أن يصفح عنه . غير أن الرجل سئم وظيفته الجديدة فابتهل إلى الله وإلى القطب أن يعفى منها ، وأجيب إلى توسلاته واستردت قدرته الخارقة للعادة . فعاد إلى دكانه وهو أسعد من قبل

هذه القصة يتقبلها القاهريون كأنها حقيقة ومن ثم أدرجتها هنا . لأننا عند الكلام على الخرافات نواجه الآراء أكثر مما نواجه الأفعال . ولست متأكداً أن القصة جميعها كاذبة ؛ فقد يكون هذا الولى المزعوم قد استخدم من يدخل الثعبان أو الكلب فى الوعاءين اللذين كسرهما . وقد قيل لى إن أكثر من واحد قد اشتهر بالولاية بمثل هذه الحيل

وفى مصر أولياء كثيرون يتقشفون تقشف النسّاك الهنود . وفى القاهرة الآن ولىّ طوّق عنقه بالحديد ، وشد نفسه إلى أحد جدران غرفته وظل على ذلك ثلاثين عاماً ، كما يقال ؛ ويزعم البعض أن هذا الولى كثيراً ما شوهد متدثراً كالنائم بملاءة ، ثم بعد ذلك مباشرة تزاح الملاءة عنه فلا يجدونه تحتها . ويذكر هذه القصص ويؤمن بها قوم يتمتعون بالعقل الرشيد . والضحك من هذه القصص أو عدم تصديقها يثير السخط الشديد . وقد حكى لى أخيراً أن ولياً قطع رأسه لجرم لم يرتكبه ، فتكلم بعد فصل رأسه عن جسده[١] ، وأن آخر حز عنقه فى أحوال مشابهة فخط دمه على الأرض إعلان براءته : أنا ولى من أولياء الله وقد مت شهيداً .

وهناك ظاهرة غريبة فى خلق المصريين وغيرهم من الشرقيين وهى أن المسلمين والمسيحيين واليهود يتخذون خرافات بعضهم بعضاً بينما يمقتون العقائد الأصلية . وقد يستخدم المسلمون عند المرض قسس النصارى واليهود للدعاء لهم ، وكذلك النصارى واليهود يدعون الأولياء المسلمين للغرض نفسه . ومن المألوف أن ترى المسيحيين يترددون على الأولياء فيقبلون أياديهم ويسألونهم الدعاء والنصح . ويجزلون لهم المال والعطايا .

وينسب المسلمون إلى الرسول معجزات كثيرة لا يقرها

(١) مثل رأس الحكيم « دوبان » فى قصص ألف ليلة وليلة

الإسلام . وهم يقولون أن هناك معجزات كثيرة لا تزال تتم إكراماً للنبى وشاهداً على رعاية الله له . ويروى الحجاج الذين زاروا المدينة أنهم يرون كل ليلة شعاعاً من النور الكامد يشع من قبة القبر النبوى إلى ارتفاع هائل إلا أن الشعاع يختفى عن الناظر عند ما يقترب من القبر[١] . وهذه معجزة من أكثر المعجزات اعتباراً ويروون أنها تشاهد للآن . وقد سألت أحد أصدقائى الحصفاء عن صحة هذا الزعم فأيده وجزم أنه كان يرى الشعاع كل ليلة مدة إقامته بالمدينة . وقال : إن ذلك دليل على رضا الله وإكرامه لسيدنا محمد (ص) ، ولم أجرؤ أن استفهم عن حقيقة ما يزعم رؤيته بعينه ولا الإشارة إلى أن أكثر الأنوار التى تضاء فى المسجد كل ليلة قد تحدث ذلك الأثر . غير أنى سألت صديق أن يصف لى بناء القبر وقبته الخ ؛ فأجاب أنه لم يدخل الضريح ولا الكعبة لاضطراب أعصابه نتيجة لإعظامه هذه الأماكن المقدسة وخاصة قبر الرسول الذى يؤثر فيه تأثيراً شديداً ؛ ولأنه حتى النعل لا يليق به أن يسير فوق هذه الأرض المقدسة ويتعرض كل حين لمكاره المشى حافياً ، ومن ثم كان عليه فى هذه الحالة أن يلبس خفا داخل الحذاء الخارجى ، وهذا ما لا يقدر عليه . وزعم الحجاج أيضاً أنهم يرون دائماً على مسير ثلاثة أيام من المدينة نوراً فى اتجاه المدينة المقدسة ويعتقدون أنه ينبعث من قبر الرسول. ويقولون إنهم حيثما يتجهون يشاهدون هذا النور تجاه المدينة . ولهذه الروايات جمال يؤثر فى النفوس

ويحمل المسلمون ، وبخاصة المصريون ، على اختلاف مذاهبهم ، ما خلا الوهابيين ، للأولياء المتوفين احتراماً وتقديساً لا سند لها فى القرآن أو الأحاديث ، أكثر مما يحملون للأحياء منهم . ويشيدون فوق أغلب قبور الأولياء المشهورين مساجد كبيرة جميلة . وينصبون فوق قبور من هم أقل منهم شهرة بناء صغيراً مربعاً مبيضاً بالكلس ومتوجاً بقبة . ويقام فوق القبر مباشرة نصب مستطيل من الحجر أو القراميد يسمى

(١) يقال أيضاً أن هناك ظواهر مشابهة أقل بهاء تميز بعض قبور المدينة وغيرها

(تركيبة) ؛ أو من الخشب ويسمى (تابوتا) ، ويغطى النصب عادة بالحرير أو الكتان المطرز ببعض الآيات القرآنية ، ويحيط به قضبان أو ستر من الخشب يسمى (مقصورة) . وأكثر أضرحة الأولياء في مصر مدافن إلا أن أكثرها يحتوي على آثار قليلة لهم . وبعضها ليست إلا قبوراً فارغة أقيمت تذكاراً للميت . وأكثر هذه المقامات قدسية مقام الحسين إذ يقال إن رأس الحسين الشهيد مدفون به . ومنها أيضاً مسجد السيدة زينب وهو دون الأول قدسية . ومسجد السيدة نفيسة ، ومسجد الإمام الشافعي الذي ينتمي إلى مذهبه أكثر القاهريين . وتوجد هذه الأبنية السابقة ما خلا الآخرَيْن داخل العاصمة . أما مسجد السيدة نفيسة فهو في إحدى الضواحي الجنوبية ، ومسجد الإمام الشافعي في المقبرة الجنوبية الكبيرة

ويزور المصريون هذه الأضرحة وغيرها أحياناً إما إجلالاً للميت أو قياماً بأعمال تستحق الثواب لأجل هؤلاء المكرمين معتقدين أنهم سينزلون عليهم البركات ، وإما بقصد التماس البرء من مرض أو طلب النسل ، مقتنعين أن فضائل الميت تكفل قبول دعواتهم قبولاً مرضياً . ويعتبر المسلمون أولياءهم المتوفين شفعاء لهم عند الله ويقدمون لهم النذور . ويحيي الزائر عند وصوله الضريح بالسلام ويسلم عليه أيضاً عند دخوله المدفن . ولكني أعتقد أنه قلما تراعى هذه العادة الأخيرة . ويواجه الزائر رأس الميت ، ومن ثم يولي القبلة ظهره . ويطوف حول المقصورة من اليسار إلى اليمين ، ثم يقرأ الفاتحة بصوت لا يسمع أمام باب المقصورة أو أمام جوانبها الأربعة . وقد يتلو بعد ذلك سورة أطول من الفاتحة ، كما قد يتلو في هذه الحالة (ختمة) . وتقرأ هذه الأدعية لأجل الولي وإن كان يعتقد أيضاً أن الأجر ينعكس على الزائر الذي يتلو الصلاة . ويختم الزائر ذلك عادة بقوله : « إني وهبت ما قرأت من القرآن الكريم إلى من نذر له هذا المكان » أو « إلى روح هذا المولى » . ويبقى ثواب ما قرىء للقارئ وحده إذا لم يبين ما سبق أو لم يقصده . ويبتهل الزائر بعد تلاوة هذا إلى الله لاستدرار النعم فيقول عادة : « اللهم أتوسل إليك بالرسول وبمن وقف له هذا المكان أن تهبني هذه النعمة وتلك الأخرى » أو « حملي على الله وعليك يا من كُرِّس لك هذا المكان » . ويواجه البعض وهو يفعل ذلك جانباً من جوانب المقصورة . ويقال إن اللائق أن يواجه الإنسان المقصورة والقبلة ، ولكني أعتقد أن القاعدة نفسها تراعى في هذه الحالة كما تراعى في السلام ؛ وتوضع اليدان أثناء ذلك وضع الابتهال الخاص عقب الصلاة العادية ثم تسحبان بعد ذلك على الوجه . ويقبل الكثير من الزائرين عتبة باب المقام وجدرانه ونوافذه ومقصورته الخ . . . إلا أن الشديد المحافظة يستقبح هذا لاعتباره تقليداً لعادة مسيحية .

ويوزع الأغنياء والميسورون عند زيارتهم قبور الأولياء المال أو الخبز على الفقراء . وكثيراً ما يمنحون السقائين نقوداً ليفرقوا الماء على القبر والظمآن إكراماً للولي[1] . وهناك أيام خاصة في الأسبوع لزيارة بعض الأضرحة . فيزور الرجال مسجد الحسين على الأكثر يوم الثلاثاء ، والنساء يوم السبت . ويزورون مسجد السيدة زينب يوم الأربعاء ، ومسجد الإمام الشافعي يوم الجمعة . والعادة في هذه الحالات أن يحمل الرجال معهم آساً يضعون بعضه على النصب أو فوق الأرضية داخل المقصورة ، ويأخذون الباقي ثانية لتوزيعه على الأصدقاء . ويضع الفقير أحياناً خوصاً ، كما يفعل أغلب الناس على قبور الأصدقاء والأقارب ، وتضع نساء القاهرة بدل الآس والخوص ورودا وزهورا وياسميناً .

(يتبع) عدلي طاهر نور

(١) أنظر الكلام على السقائين في الفصل الرابع عشر .

حكم في القضية ٧٠٦ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد عبد الوهاب السيد الهواري بتسليمه لوالده لامتناعه عن بيع السكر بالسعر المحدد بجلسة ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٣

حكمت محكمة بنها العسكرية في القضية ٤١ بنها سنة ١٩٤٢ بجلسة ٥ يناير سنة ١٩٤٢ بحبس بيومي أحمد منصور دويدار شهرا مع الشغل والنفاذ والنشر لبيعه بأزيد من التسعيرة

تحيـــة فلسطين

للأستاذ بشارة الخورى

[ألقاها بالقدس فى زيارته الاخيرة]

« فلسطين » لست سوى دمعة   تهادت على بسمة حائرة
تعانقتا فاستحال العناق   لهيباً على شفة ثائرة

« فلسطين » يا حُلم الأنبياء   ويا خمرة الأنفس الشاعرة
حملنا لك المهج الظامئات   وأصدية القبل الطاهرة

« فلسطين » يا هيكل الذكريات   على جبهة الأعصر الغابرة
مضمخةً بغبار الحروب   مخضبةً بالمنى الزاخرة

« فلسطين » يا جمحات الخيال   مجنحةً بالرؤى الساحرة
هنالك على شرفات النجوم   أرى مكة تلثم الناصرة

ألا قطرةً ، عرس قانا الجليل   ولو بين جدرانك الدائرة
ترد إلى الشعر وحى السماء   فتلهمه الأنفس الكافرة

بشارة الخورى

إلى ... ؟

« للشاعر المجهول »

أبحتُكَ من قلبي نفائسَ عَطفِهِ
وحرّرتُ فيكَ المالَ من رِبقَةِ الضَّنِّ

وقلتُ مِثالٌ من جمالٍ أصُونُهُ   فيَسْلَمُ من إفكِ الزمانِ ويستغنى
فلم ترَ صدرى من سهامِكَ فى حِمًى   ولم ترَ جَنْبى من نِصالِكَ فى أمْنِ
وعِشتُ يُرِينِى الحُبُّ أنكَ حافظٌ   عهودى وأن الخُلْدَ بعضُ الذى أبنِى
فلمّا رأيتَ الوجدَ يغتالُ مُهجتى   وأيقنتَ أنى من غرامِكَ فى سِجْنِ
مَضَيْتَ إلى غيرى جهارًا وخُنْتَنِى   فمن أىِّ وَحْلٍ صِيغَ طَبْعُكَ خَبِّرْنِى

« الشاعر المجهول »

إلى روح شقيقى « ابراهيم »

ما كان إلا دنيـــا محببة !

للآنسة فدوى طوقان

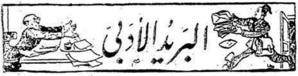
لا كانَ عامٌ ظَلِلْتَ يا سَكَنِى   فيهِ وَراءَ الحياةِ وَالزَّمَنِ
مُسْتَوْحِشاً فى الضريحِ مُنْفَرِدًا   مُرْتَهَناً بالترابِ والكفنِ
وَا حَرَّ صَدْرى عليكَ وَا أسَفِى   أنْ لَمْ تُمِتْنِى لواعِجُ الحَزَنِ
لوَ أنَّنى قمتُ بالوفاءِ ، أخِى   ما ظلَّ روحى يجولُ فى بدنِى
أنَّى تطيبُ الحياةُ بعدَكَ يا   أحْسَنَ ما فى الحياةِ مِنْ حَسَنِ
قَطَمْتُ عنّى أسبابَ بَهجتِها   وَصِرْتُ وَاللاعجاتِ فى قَرَنِ

تَهجِسُ فى خاطرى ، أخِى ، ذِكَرٌ   تَظَلُّ مِنها الأشجانُ تَطرُقُنى
كنتَ لعَمْرى زَيناً لمجلِسِنا   وفتنةً مِنْ مُحبَّبِ الفِتَنِ
تدفعُ عنّا الهمومَ إنْ نَزَلَتْ   بالدارِ يوماً طوارقُ المِحَنِ
فكيفَ باللهِ صِرْتَ أكبرَها   وكيفَ أصبحتَ مَصْدَرَ الشَّجَنِ ؟

أوْلَيْتَنِى مِنْ لَدُنْكَ عَارِفَةً   آبَتْ بحِفظِ الجميلِ مِنْ لَدُنِى
وَاهاً لها مِنْ يدٍ مُبارَكَةٍ   فيّاضةِ البِرِّ ثَرَّةِ المِنَنِ
ما كنتُ إلا مِنْ غَرْسِها فَنَناً   لو لم تُحِطْهُ بالحِفظِ لم يكُنِ
قدْ صُنْتَهُ فاستَقامَ من أوَدٍ   لولاكَ لم يستقِمْ ولم يُصَنِ
واليومَ يُودِى لَفْحُ السَّمُومِ بهِ   بعدَكَ مُنْذا يَقِيهِ مِنْ وَهَنِ

لا خفَّفَ اللهُ ما أكابِدُهُ   إنَّ سُلُوِّى عنهُ مِنَ الأفَنِ
وإنَّ قَلباً قدْ كانَ مَأمَلَهُ   غيرُ حقيقٍ بالصبرِ أوْ قَمِنِ
أيامُ عُمْرى تجهَّمَتْ كَمَدًا   وكانَ فيها بشاشةَ الزَّمَنِ
واهاً لنفسى مِنْ طولِ وَحشتِها   ما أنِسَتْ بعدَهُ إلى سَكَنِ

أوْدَعْتُ فى القبرِ سيرةً كَرُمَتْ   يالَىَ أمِنْتُ غيرَ مُؤتَمَنِ
أما وَحُبِّيهِ مِثلَ سيرَتِهِ   ما شامَ طَرْفى وَلا وَعَتْ أذُنِى



الرسالة هي الصديق

كتب الأديب حسين الحوفي كلمة نصَّ فيها على أني أخطأت حين قلت « الرسالة الصديق » وساق كلاماً لا ينفع في « فعيل » بمعنى فاعل و « فعيل » بمعنى مفعول ، وسأصحح له هذا الخطأ حين أجد فرصة لا تدعونا فيها « الرسالة » إلى مراعاة الأمر العسكري بتحديد عدد الصفحات !

وأجيب بأن « الرسالة » هي « بُثينة » في قول جميل :

كأن لم نحارب يا بُثين لو أنها تكشَّفُ غمَّاها وأنت صديقُ

وما وصفتُ « الرسالة » بالصديق إلا وفي خاطري هذا البيت . فهي إلى قلبي حبيب .

زكي مبارك

لمن (رسالة الحج) ؟

قبل ثلاثة أعوام قصدت مكة لزيارة قصيرة وكان لا بد لي من زيارة الصديق الشيخ عبد الوهاب الدهلوي وكانت في يدي نسخة

خُلُقٌ كقطرِ النَّدى صَفاً وَزَكا ... في السِّرِ مُسْتأمَنٌ وفي العلَنِ
نفسٌ كصافي النَّميرِ مَوْرِدُهُ ... ليسَ بذي كُدْرَةٍ وَلَا أَسَنِ
مَنْذا لصدقِ الوَلاءِ إنْ طُوِيَتْ ... نفسٌ وَلِيَ يوماً على دَخَنِ
مَنْذا لِجَزْلِ القَريضِ وا حَزَني ... مَنْذا لحُلوِ الحديثِ واللَّسَنِ
مَنْ للنُّهى إنْ كَبَا العِثَارُ بها ... والأمْرُ أعْيَا عَلَى ذوي الفِطَنِ
« ما كان إلَّا دُنْيَا مُحَبَّبَةً » ... خالصةً مِنْ شوائبِ الدَّرَنِ

أسْعَى إلى قبرِهِ يُساوِرُني ... شَوْقٌ إليهِ والدَّمْعُ يَسْبِقُني
أحنُو عليه أبكيهِ مِنْ أسَفٍ ... أشْقَى ترَاهُ بأدْمُعِي الهُتُنِ
أمْسَحُ مِنْ لَوْعَتي بتُرْبتِهِ ... مَسْحَ أكُفِّ الحجيجِ بالرُّكْنِ
لولا عظامٌ لنا مُطَهَّرةٌ ... في التُّربِ لم نحترصْ عَلَى وَطَنِ

« نابلس » **فدوى عبد الفتاح طوقان**

من رسالة الحج ، فسألني الصديق وما تلك بيدك يا حسين ؟ قلت هي « رسالة الحج » : للدبلوماسي ، وإنها لرسالة جميلة في أسلوبها وموضوعها . فقال : الأستاذ الدهلوي : هذه الرسالة لي وضعتها باللغة الأردية وطبعتها في سنة ١٣٥٢ هـ باسم « أسرار حج » وأهديتها فيمن أهديت إلى أستاذنا الشيخ عبد الله السندي ، وأنت تعرف هذا الأستاذ ، فله تلامذة نجباء ، وقد أعجبته الرسالة فدفعها إلى أحدهم فترجمها إلى الإنكليزية ، وبقيت في حوزته . وفي اجتماع ضم الأستاذ عبيد الله والأستاذ حافظ عامر قنصل مصر في جدة يومئذ جرى الحديث إلى تلك الرسالة ، فأخذ الأستاذ حافظ الترجمة الإنكليزية وعربها وطبعها ووضع عليها اسم « دبلوماسي »

ثم توالت السنون وأطلعتنا الصحف المصرية أخيراً على تقاريظ لطبعة ثانية من رسالة الحج تقول إنها للأستاذ حافظ عامر وفيها ثناء عليه أهمه كلمة لفضيلة الأستاذ المراغي في أحد أعداد الهلال

فرأيت أن أقول كلمة ترد الحق إلى نصابه : إن رسالة الحج ليست من تأليف الأستاذ حافظ عامر ولا من ترجمته . هي من تأليف الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الدهلوي بالأردية ولا تزال تطلب منه في مكة . وأما الترجمة فقد قرأنا في كتاب حياة الرافعي للأستاذ العريان ما معناه ونصه : .الرافعي وحافظ صديقان بلغ من صداقتهما أن الرافعي كان يكتب لحافظ أسلوب المرافعة في المحاكم حينما كان الأستاذ حافظ محامياً في طنطا . وقد ظل هذا التعاون الأدبي متصلاً بين الرافعي وحافظ إلى ما قبل موت الرافعي ... ثم قال : كان ذلك في صيف ١٩٣٥ ، وكان الرافعي يقضي أجازته الأسكندرية ليعاون صديقه السياسي حافظ في إنشاء رسالة دينية . فما رأى الأستاذ حافظ عامر ؟

(جدة) **حسين محمد نصيف**

تذكير

كان الأستاذ عمر الدسوقي قد وعد قراء (الرسالة) الزاهرة في معرض مقال له أنه سيتولى كتابة بحث في الأدب اللبناني الحديث معتمداً على تعرفه بالأدب السوري اللبناني أثناء الحقبة التي سلخها في لبنان

ولقد تنظرنا أن يفي الأستاذ بما وعد ، ولمّا يفعل والأدب السوري اللبناني مفتقر الآن إلى مثل هذا البحث لا سيما أنه لم يُوفَّ من التقدير حقه ؛ فمن الناس من أشاد به وأطراه بالغ الإطراء ، سواء في الصحف أو في الإذاعة ، ومنهم من بخسه حقه وانتقص من قدره

وإلى الآن لم يظهر الرجل الذي يتخذ مذهباً وسطاً ، فلا يتبنى الأول وهو مبالغ فيه ، ولا يتبنى الآخر وهو مبالغ فيه كذلك .

فلم يبق إلا أن نرجو الأستاذ الدسوقي أن يعتزم الأمر ثانية إن كان تقاعده عنه شغل ، ويكون هذا الناقد النزيه ، وهذا الباحث العادل البعيد عن التعرض ، وعساه يوافينا عما قريب .

« بيروت » سهيل ادريس

« الرسالة الصديق »

جاء في العدد ٤٥٩ تحت هذا العنوان تخطئة لوصف (الرسالة) « بالصديق » ، وأن الصواب وصفها « بالصديقة » ؛ وقد ذكرت معاجم اللغة صحة وصف المؤنث « بالصديق »

فجاء بالقاموس في مادة « صدق » : (وكأمير الحبيب للواحد والجمع والمؤنث وهي بهاء أيضاً) ؛ وجاء بالمصباح : (وامرأة « صديق » و « صديقة » أيضاً)

وجاء بالمختار : (والرجل « صديق » والأنثى « صديقة » ، وقد يقال للجمع والمؤنث « صديق »)

إذاً ، يصح أن تقول : (الرسالة) « الصديق » و (الرسالة) « الصديقة » . . . ولعل صحة وصف المؤنث « بصديق » بناء على ورود هذه المادة متعدية ، فقد ورد : (صدق فلاناً الحديث والقتال) ؛ ومنه المثل : (صدقني سن بكره) ؛ فهي حينئذ « فعيل » بمعنى « مفعول »

فعلى هذا يكون ما ذكره الأديب الفاضل من القياس على « الرسالة العظيمة » و « الكاتبة البديعة » بعيداً . إذ الأولى صفة مشبهة : « كشريف » و « ظريف » ؛ والثانية وصف لاسم الفاعل الذي على وزن « مُفْعِل » : « كنذير » و « سميع » وكلاهاتين الصيغتين يذكر مع المذكر ويؤنث مع المؤنث .

كلية اللغة العربية علي محمود الشيخ

إلى الدكتور حسني ولاية

لك يا حضرة الدكتور الفاضل أبحاث قيمة تتحف بها قراء الرسالة بين الفينة والفينة ، فضلاً عما تخرجه المطابع لك بين الحين والآخر من ثمرات بعضها مؤلف وبعضها مترجم ... وكلها تدور حول « علم النفس » وعلاقته بالمجموع العصبي للانسان ، فهل يتكرم سيدي الدكتور بالإجابة عما يلي : وله الشكر أولاً وآخراً

١ — ما هو الفرق بين الأمراض النفسية ، والأمراض العصبية ؟ وهل من الضروري أن يكون المريض بأعصابه عليلاً بنفسه ؟ !

٢ — ما هو القلق العصبي ، وما علاقته بنفس المريض ؟

٣ — هل نعتبر المجرم مريضاً بأعصابه أم بنفسه ...

٤ — ما تعليل قولهم إن لكل شاعر شيطاناً من الوجهة النفسانية ؟

٥ — نرى أن بعض مختلي الأعصاب ، وبعض المجرمين ، ينتجون ذرية صالحة جسمانياً وعقلياً والعكس بالعكس . . . فأين قانون الوراثة هنا ؟ !

وفي انتظار الإجابة أقدم للدكتور العالم جزيل احترامي .

« النخيل » محمد محمد مالك

إلى الأستاذ العقاد

كثير من الأدباء يتهمون إخوانهم بالأنانية وحب النفس ، فأدباء الشيوخ الذين يحتكرون ميدان الأدب لا يبذلون أي جهد في تسديد خطى الشباب الناشئ

ولا أعرف السبب الذي يمنع أديباً مثل الأستاذ العقاد من تأليف كتاب عن الشعراء الناشئين الذين يدل شعرهم على نبوغ وعبقرية مثلما فعل الشاعر الإنجليزي المعروف « و . ب . يتس » الذي كتب عن « روبرت بودج » ، « ولتردى لمار » ، « هيلار بيلوك » ، « ليونيل جونسون » ، « أرنست دوسون » في مؤلفه « كتاب اكسفورد للشعر الحديث » .

فشيوخ الأدب في أوربا لثقتهم بأنفسهم ، وحبهم لفنهم ، وإخلاصهم له يسددون خطى الأدباء الناشئين ، ويشيدون بذكر الموهوب منهم . فما رأي الأستاذ العقاد في هذا الموضوع ؟ وهل يعمل الأستاذ على إخراج مثل هذا المؤلف ؟ إنه إن أخرج هذه الفكرة إلى حيز الوجود فسيكون قد أسدى خدمة جليلة للأدب العربي المستحدث بجانب خدماته العديدة التي سبق أن أسداها إليه

كمال الدمرداش نشأت

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين